تجديد الخطاب الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة

إعداد

الباحث: سلمان محسن عبد ربه عبدالله

الباحث: أكرم علي مسعد صالح

الباحث: خلف عبيد خلف العبد المهنا

ملخص البحث

يمر بالأمة زمن ضعف وتخلف، وتلحق بدينهم أفكار معوجة، وكان سبب التحاق الخرافات والخزعبلات بدين الأمة يرجع إلى عدم العناية بخطابه كما ينبغي، والعزوف عن الرجوع إليه وفهمه والعمل بما فيه. فلذا، يهدف هذا البحث إلى استجلاء ملامح التجديد للخطاب الإسلامي المعاصر، ويرمي إلى أهميّة مراجعة الخطاب الإسلامي وبنيته، وإلى ضرورة هذه المراجعة، وإعادة صوغ أفكاره وأساليبه، بما يتناسب مع لغة العصر وحاجات الأمَّة، وما تفرضه ظروف الناس اليوم. ويسلِّط الضَّوء على قضيَّة هامَّة اليوم، ألا وهي الخطاب الإسلاميّ، وضرورة تجديده وإصلاحه، بما يتناسب مع أصالة الإسلام ودوره ورسالته في الحياة. كما يكشف عن اتجاهات العلماء في التجديد قديما وحديثا، مجالاته، والضوابط العلمية لممارسة عملية التجديد الإسلامي، كما يهدف البحث إلى بيان منهج التجديد المنحرف الذي يتغيى تقويض معالم الدين الإسلامي من أسسه، وتناول البحث نماذج للتجديد المتوافق مع طبيعة الإسلام، وما لا يتوافق معها، وخلص البحث إلى أن ضرورة تجديد الخطاب الإسلامي ضرورة ملحة تفرضها المستجدات والأحداث الراهنة..

الكلمات الدلالية: التجديد الديني، حماية الدين، الاجتهاد المفتوح.

ABSTRACT

The Islamic Ummah has been passing through impairment and delinquency, and their religion was facing challenges of crooked ideologies, as false doctrines also related to it. It is noticed that the only cause of these infections is their carelessness towards the religious message, and abandonment of working towards it. As a result of this, this paper aims to engage in the journey of uncovering the features for revitalization of modern Islamic messages, and the methods to be adopted for them, in order to make it more relevant with contemporary situations.

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مُرشدًا، والصلاة والسلام على إمام المتقين، ورحمة الله للعالمين، مَن أُرسل مبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وأُعطيَ جوامع الكلم؛ ففَتح الله به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا. صلوات الله وتسليماته عليه وعلى آله وصحبه والتابعين إلى يوم يلقاه المؤمنون، ويكون تحيتهم فيه سلامًا.

أما بعد:

فإنَّ التجديد عامة- وتجديد الخطاب الإسلامي خاصة- هو الوسيلة الوحيدة الذي يضع أيدينا على كل الأدواء التي حَلَّت بالأمة الإسلامية، ومِن ثَمَّ كان تجديد الخطاب الديني ضروريًّا من الضروريات التي تحتاجها الأمة الإسلامية عبر العصور والأزمنة التي مَرَّت بها؛ ليصلوا إلى الخيرية التي وصفهم الشارع بها، لتنطبق نصوص الشريعة مع واقع الأمة بصفة عامة، وللوصول إلى رؤية إسلامية جديدة تحاول أن تنتشل الأمة الإسلامية من براثن التخلف الذي طالها طوال عقود.

إن الحديث عن الخطاب الديني وتجديده من القضايا الضرورية المشروعة والمعقدة والمتداخلة، وبخاصة في مواجهة المستجدات العصرية والوقوف ضد تحديات الواقع المعاصر، الذي لم يزل سمته الجمود والانغلاق والانعزالية والتقليد. بل لا بد من الحراك والانفتاح والإبداع حتى يتمكن هذا الخطاب من مواجهة القضايا وهموم الأفراد والمجتمعات، والارتقاء بشخصية وإمكانات الأفراد وتعزيز القيم الإنسانية التي تُسهم في تنمية المجتمعات، كما أن الخطاب الديني المتجدد أصبح ضرورة للإسهام بالفاعلية في المخاطبة والحوار مع الآخرين، وتجديد الخطاب الديني الذي ننشده في هذا البحث هو تجديد في عرض الخطاب الديني ومضامينه، لا في النصوص الدينية.

ويتوزع هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم التجديد؛ ضوابطه، ومجالاته.

المبحث الثاني: اتجاهات المنادين بتجديد الخطاب الإسلامي، وأبرز مدارس التجديد المنحرف.

المبحث الثالث: نماذج لتجديد الخطاب الإسلامي المتوافق مع الإسلام واللا متوافق مع طبيعة الإسلام.

إشكالية البحث: لقد جاب نداء تجديد الخطاب الديني شرقًا وغربًا، وكلٌّ يُبدي رأيه فيه، وكانوا فيه بين إفراط وتفريط؛ فتحيرت عقول العوام واضطربت مشاعرهم في الوصول إلى الحقيقة.

وعليه، سيقوم هذا البحث بالفحص عن المفهوم الحقيقي لتجديد الخطاب الديني، والتمييز بين التجديد المشروع من التجديد المنحرف، والرأي السديد فيما يجعل الخطاب الإسلامي قادرًا على التعاطي مع متغيرات العصر وتحولاته بما يضمن الريادة وأداء الرسالة الإنسانية السمحة التي جاء بها الإسلام.

أسئلة البحث:

بناء على المشكلة المذكورة آنفًا، فأهمُّ الأسئلة التي يجيب عنها الباحث خلال هذه الدراسة ما يلي:

١- ما المفهوم الصحيح لمصطلح تجديد الخطاب الإسلامي؟

٢- وكيف يُمَيَّز بين التجديد الصحيح والمنحرف، مع نموذج لكل منهما؟

أهداف البحث:

١- بيان الموقف الصحيح والرأي السديد لتجديد الخطاب الإسلامي.

٢- ذكر ما يميز التجديد الصحيح من غيره مع الإدلاء بالنموذج.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذه الدراسة فيما يلي:

١- توعية المسلمين عامة عن المفهوم الصَّحيح لمصطلح تجديد الخطاب الإسلامي.

٢- معرفة مَن ضَلَّ عن طريق التجديد الصَّحيح ممن أصاب.

المصطلحات والمفاهيم:

التجديد: هو رَدُّ ما اندرس من السنن إلى أصولها التي كانت عليها في عهد النبوة والقرون المفضلة، وإحياؤها في النفوس مع الإقبال على التدين بها.

الاجتهاد المفتوح: هو مصطلح عصري يراد به الاجتهاد المطلق عند الأصوليين القدامى، وهو بذل الإنسان أقصى جهده العلمي مع تعددية النظر في الوصول إلى حكم شرعي لأمر من الأمور المتعلقة بالعباد أو البلاد من غير التقيد بمذهب من المذاهب أو مدرسة من المدارس الفكرية.

الانحراف: هو الميل والعدول عن الفطرة السليمة والاستسلام للطبيعة البشرية من غير التقيد بالمعايير الشرعية في السلوك.

الدراسات السابقة:

لا شك في أن الله هيأ رجالًا مفكرين في كل عصر ومصر، وسخر لهم الاجتهاد والتفكر لخدمة قضايا المسلمين، والسعي لإيجاد الحلول لمشاكلهم في العصور المنصرمة، وفي عصرنا الحالي ظهر عدد من المفكرين أصحاب أقلام مخلصة وعاملين في ميدان التجديد الإسلامي، وساهموا مساهمة مقدرة، وكتبوا في تجديد الفكر الديني والخطاب الإسلامي ما يمكن أن يستعان به في البحث الذي بين أيدينا.

ومن تلكم الدراسات ما يذكر:

كتاب "**المجددون في الإسلام**" لعبد المتعال الصعيدي،، شرح المؤلف فيه المقصود بالتجديد، وذكر مجددي كل قرن هجري على حِدة؛ من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري، فكان يتحدث عن القرن الهجري ويقابله بالقرن الأوربي، ويُبرز كذلك في الكتاب اختلاف المؤرخين والعلماء في تحديد المجددين.

وكتاب "**من أجل صحوة راشدة**" للشيخ يوسف القرضاوي، وقد تناول الشيخ في كتابه هذا موضوع التجديد الديني بإسهاب، وأبرز فيه التنظير في موضوع التجديد في الخطاب الإسلامي.

وكذلك كتاب "**تجديد الخطاب الإسلامي**" لـ أ. د عبد الكريم بكار، والذي تعمق في شرح معنى التجديد المحتاج إليه في هذا العصر، بحيث انتقل إلى ميدان الفكر الإسلامي وأسلمة المعرفة، وإعطاء العقل مساحة في مجال التجديد الديني، وقد ركَّز على المحيط الواقعي للخطاب الإسلامي، ومدى تفاعل الخطاب الإسلامي بأدواته مع الواقع المعاصر في جميع مجالات الحياة.

ثم كتاب "**تجديد الخطاب الديني**" للدكتور أحمد عرفات القاضي، حيث تناول الكاتب المعنى العام للتجديد الديني وعلاقة التجديد بالاجتهاد والتطور، وذكر أبرز التحديات التي تواجه تجديد الخطاب الديني، كما ذكر أبرز رجالات التجديد المعاصرين في القرنين التاسع عشر والعشرين، وأبرز القضايا التي أثاروها.

وكتاب "**الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر**" لسعيد شبَّار، تناول الباحث في الكتاب المقصود بالتجديد الديني وعلاقته بالاجتهاد، وهل الاجتهاد هو التجديد الفعلي؟ والأداة الإسلامية للتجديد الذاتي في الإسلام، ثم عرَّج على أهم قضايا العصر ونظرة المجددين المعاصرين لها من خلال مرجعية ومنهجية فاعلة لتجديد الدين لهذه القضايا.

حدود البحث:

إن موضوع التجديد موضوع واسع، وله مجالات مختلفة، والإقدام على البحث في جميع مجالاته كالإقدام على مشروع العُمر؛ فلذا تقتصر هذه المقالة على تجديد الخطاب الإسلامي، ومقارنة أفكار المتقدمين والمعاصرين فيه، ولا تتطرق إلى غيره من مجالات التجديد قديمًا كان أو حديثًا.

أدوات البحث:

سوف تعتمد هذه المقالة على **المنهج الاستقرائي** الكامن في تتبع ما كتبه العلماء عن الخطاب الديني في القديم والحديث، ثم البيان والتحليل ثم القيام بالنقد، والترجيح لما رآه الباحث راجحًا.

المبحث الأول: مفهوم التجديد، ضوابطه، ومجالاته

مفهوم التجديد لغة واصطلاحًا:

التجديد لغة: مصدر مِن فعل خماسي أو ثلاثي مزيد بحرفين، وهو "جَدَّدَ" الموضوع في أصل معناه على التكثير غالبًا.

وقد يأتي ويراد به التعدية، ونسبة المفعول إلى أصل الفعل، والسلب، والتوجه نحو ما أخذ الفعل منه، والجعل على صفة، والتسمية، والدعاء للشيء أو عليه، والقيام على الشيء، والإزالة، والرمي(١).

ويقال: "جدَّد" لما زال قدمه والبلى منه، وسلب القدم، ورمي الجديد فيه والتوجه نحوه.

ويقال فيما صار جديدًا بنفسه: "تجدَّد" و"استجدَّ"، وفيما صار جديدًا بالواسطة: أجَدَّهُ وجَدَّدَهُ.

والجديد يعني: ضد القديم، ونقيض البلى(٢).

وتدور معانيه اللغوية على الخَلق البالي بعد أن عفا ودَرَس إلى ما كان عليه في أول الأمر.

ومن هنا يُوجد أن لفظة التجديد غير واردة في القرآن، وإنما الوارد كلمة جديد، وما أتى إلا نعتًا للخلق، وذلك في ستة مواضع هي: قوله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾(٤)، وقوله ﷻ: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾(١)، وقوله ﷻ: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا

(١) ابن عصفور، علي بن مؤمن بن مُحَمَّد الحضرمي، **الممتع الكبير في التصريف**، (بيروت: مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٦م)، ص١٢٩؛ الحازمي، أحمد بن عمر بن مساعد، **شرح متن البناء**، (www.hazme.net، ٢٠١٢م)، ج٣، ص١.

(٢) ابن منظور، مُحَمَّد بن مكرم بن علي، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ)، ج٣، ص١١١.

(٣) سورة ق، آية ١٦.

(٤) سورة الرعد، آية ٥.

فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾[٤].

والتجديد في هذه الآيات بمعنى: الإحياء والإعادة لما كان موجودًا من العظام، ثم فَنيت وبليت وتفتتت.

كما ورد ذكرُه في السُّنَّة، وجريانه على لسان أهل العلم.

وأداة التجديد قبل الرسالة مَرهونة ببعثة الأنبياء والرسل بما يناسب الزمان والمكان، وبعد الرسالة الخاتمة أصبح التجديد منوطًا بعلماء الأمة.

والتجديد اصطلاحًا: هو رد السُّنن التي تقادم بها العهد وغَشيتها عوادي الزمان إلى أصولها التي كانت عليها في عهد النبوة والقرون المفضلة[٥].

وقيل: هو إحياء لمعاني الدِّين الحق في النفوس، ثم الإقبال على واقع التدين لترقية الالتزام بالأحكام العملية المقررة شرعًا، ولمكافحة ما طرأ على التدين من بدع واقعة من ممارسات سالفة خاطئة ليست منه في شيء[٦].

والمهم: أن كل التعريفات المذكورة في التجديد ما هي إلا راجعة إلى شيء واحد، وهو رد الشيء إلى أصله.

=

(١) سورة إبراهيم، آية ١٩.

(٢) سورة السجدة، آية ١٠.

(٣) سورة سبأ، آية ٧.

(٤) سورة فاطر، آية ١٦.

(٥) البشير، عصام بن أحمد، **ثقافة التجديد وأدب الحوار**، (الشبكة الفقهية، ٢٣/ ١٢/ ٢٠١٢م)، http:/ / www.feqhweb.com/ vb/ t٨٣٧١.html.

(٦) الترابي، حسن بن عبد الله، **تجديد الفكر الإسلامي**، (المغرب: دار القرافي للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٣م)، ص١٨.

وأما مفهوم التجديد عند المنحرفين العصرانيين:

لا بد أن نسجل منذ البداية أن الواقعين تحت تأثير العصرانية في الفكر الإسلامي الحديث ليسوا على حَدٍّ سواء؛ بل منهم الماكر المرتد الذي يَكيد للإسلام ويسعى لتدميره، ومنهم مَن تحوم حوله شبهات قوية في عمالته، والله أعلم بحاله، ومنهم الجاهل المضلل الذي قادته الغفلة إلى ركوب موجة تطوير الإسلام، ومنهم العالم الفاضل الذي آلمه حال المسلمين، فظنَّ أنَّه لا سبيل لعودة الإسلام إلى واجهة الحياة إلا بالانحناء للعاصفة والمصالحة مع الواقع المفروض على المسلمين.

وأيًّا كان حال الواحد مِن هؤلاء فقد شكلت أطروحاتهم وأفكارهم ركامًا هائلًا من الشكوك والشبهات، وأثارت نقعًا حَجَبَ رؤية الحقيقة عن جمهور المسلمين؛ لذلك وجب على الغيورين القيام بمراجعة شاملة لما يغشى الساحة الإسلامية من تلك الأفكار.

والتجديد عندهم: هو التطوير.

لكنهم اختلفوا في التطوير المراد؛ فرأى بعضهم أن التطوير ينبغي أن يطال كل شيء في الدين من غير التفرقة بين أصول وفروع، وبين الثوابت والمتغيرات.

ويمثل هذه الفرقة حسن حنفي الداعي إلى استبدال الأسماء والمصطلحات الشرعية، وإعادة النظر في دلالاتها، مع اعتماد لغة جديدة يقدر بها على إيصال المعاني والأفكار الجديدة في كتابه "التراث والتجديد[١].

وغيره كمحمد أركون الذي يرى أنَّ خطابات النصوص الإسلامية وليدة الظروف التاريخية، ونتاج البيئة الاجتماعية، وأنها خاضعة للحيثيات الزمنية والمكانية[٢].

وهشام جعيط في مقالته "الإصلاح والتجديد في الدين"[٣].

(١) حنفي حسن، **التراث والتجديد**، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط٤، ١٩٩٢م)، ص١٤٠.

(٢) حرب، علي، **نقد النص**، (المغرب: المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠٥م)، ص٦٥.

(٣) جعيط، هشام، مجلة الاجتهاد، العددان ١١- ١٢، ضمن مقال بعنوان: **الإصلاح والتجديد في الدين**، ص٢٢.

وقصر أكثرهم التطوير على ما دون الأصول والثوابت من المعاملات، وأمور المعاش السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

وعن بعض هؤلاء نقل الدكتور علي العماري قولهم بأن الأحكام الثابتة التي لا تتغير ولا تُبدَّل هي أحكام المعتقدات فقط، وأما العبادات والمعاملات فهي خاضعة للتغيير والتبديل، ويستندون على ذلك بدليل أن الصلاة تختلف في شريعة مُحَمَّد ﷺ عن شريعة غيره من الأنبياء؛ كنبي الله إبراهيم ونوح عليهما السلام، فينبغي على زعمهم أن يُنظر فيها، وتختلف كيفية أدائها في القرن الحادي والعشرين عن الكيفية في حياة الرسول الكريم ﷺ. وهكذا قولهم في كل التكاليف(١).

وأكثرهم لا يَقبل التجديد بهذا المعنى الواسع، وحصره فيما دون العقائد والعبادات، ويرون أن ميدان الحياة قد تركه الشارع للإنسان؛ ليتصرف فيه بحسب ما تقتضيه المصلحة والظروف(٢).

قال مُحَمَّد النويهي بأن الأحكام التشريعية لا يُقصد بها الدوام والثبات، بل هي مُؤقتة بظروفها، وصالحة لبيئاتها وأماكن نزولها(٣).

ويتلخص التجديد الذي يدعون إليه في الآتي:

أ– المواءمة والتوفيق بين النصوص الشرعية ومُعطيات الحضارة الغربية، وذلك بتطويع النصوص وتأويلها تأويلًا جديدًا يتلاءم مع المفاهيم المستقرة لديهم، وعرض الإسلام عرضًا يَقبله المثقفون ثقافة عصرية.

ب– التوسع في تفسير القرآن الكريم على ضوء العلم الحديث بكل جوانبه، ولو أدى ذلك إلى استحداث أقوال مجانبة لدلالات الآيات اللغوية، ومعارضة المنقول عن السلف.

(١) العماري، علي، **أدعياء التجديد مبددون لا مجددون**، (مصر: مكتبة وهبة، ط١، ١٩٩٤م)، ص١٠.

(٢) عمارة مُحَمَّد، **الإسلام وقضايا العصر**، (بيروت، دار الوحدة، ط١، ٢٠١٠م)، ص١٥.

(٣) النويهي، مُحَمَّد، مجلة الآداب، بيروت، عدد مايو، ١٩٧٢م، ص١٠١.

ت– إخضاع الأحكام الشرعية العملية استجابة لضغوط الواقع ومتطلباته، وذلك كقضايا الربا، وحرية المرأة، والحريات العامة، والوحدة الوطنية، وتداول السلطة والمساواة.

ث– اعتماد التأويل في القضايا الاعتقادية والعملية معًا؛ ليتوافق مع أهوائهم ورغباتهم، مع توجه واضح لتضييق نطاق الغيبيات تأثرًا بالتيار المادي الذي يسود الحضارة المعاصرة.

ج– اعتماد الفهم المقاصدي للإسلام بدل الفهم النصي، فالنصوص عندهم يجب أن تفهم وتؤول على ضوء المقاصد (العدل، التوحيد، الحرية، الإنسانية)، ونصوص الحديث يُحكم على صحتها أو ضعفها– لا حسب منهج المحدثين في تحقيق الروايات– وإنما حسب موافقتها أو مخالفتها للمقاصد.

ح– إقامة الرابطة الاجتماعية بين الناس على أساس الوطنية والإنسانية، والدعوة إلى إعادة النظر في تقسيم العالم إلى دار حرب ودار إسلام، وفي استعلاء المسلم على غيره وتميُّزه عنه، وفرض الجزية على غير المسلمين، ومنعهم مِن تَقَلُّد المناصب في الدول الإسلامية.

خ– الاجتهاد في أصول الفقه والدعوة إلى تجديده.

وقد نتج عن ذلك:

– اعتماد بعضهم معايير جديدة لقبول السنة النبوية؛ بحيث لا تُقبل إلا الأحاديث المتواترة فقط عند بعضهم، مع اشتراط موافقتها للعقل، والسنة العملية فقط دون القولية عند الآخر، والتشريعية دون غيرها عند الجميع، ورَدَّ البعضُ أحاديثَ الآحاد في أبواب الاعتقاد والغيبيات.

– تقليل شأن الإجماع برفضه كليًّا، أو بإضافة قيود جديدة لم تكن معروفة لدى السابقين عليه، أو بتحويله عن معناه المعروف أصوليًّا إلى رأي عام شعبي.

– وضع معايير جديدة لترجيح الآراء الفقهية المختلفة، وكيفية اختيارها.

– الاجتهاد في موارد النصوص، وتقديم المصلحة عليها[١].

حاجة الأمة إلى التجديد المشروع

لا يُشك أن المسلمين اليوم في أمس الحاجة إلى مشروع التجديد لنهضة الأمة الإسلامية، خاصة وأن الأمة الإسلامية الآن تمر بمرحلة حاسمة في تاريخها؛ يَتكالب عليها الأعداء من كل صوب مما يعوق تقدمها وازدهارها.

وهذا يتطلب من علماء الأمة القيام بالتجديد في الخطاب الديني المعاصر من أجل تجاوز هذه العقبات؛ إذ لتجديد الخطاب الديني تتابعت بعثة الأنبياء والرسل على مدى العصور والأزمان لأداء مهمة إخراج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وتغيير وجه الحياة، وهداية الناس إلى طريق النجاة بعد أن ضلوا عنها؛ قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿**وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾[٣].أي: ما من أمة من الأمم السابقة إلا بعث الله فيهم رسولًا يردهم إلى الصواب والهداية من بعد أن عَمت بهم الضلال والغواية، وهذا هو عين التجديد.

ولأجل التجديد بُعث سيد الأنبياء والرسل مُحَمَّد ﷺ، وجُعلت رسالته خالدة باقية إلى يوم يرث الله الأرض ومن عليها؛ قال ﷺ: «**وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وآذَانًا صُمًّا، وقُلُوبًا غُلْفًا**»[٤].

أي: بَعَثَه الله لتحقيق تجديد دين الناس، وردهم إلى أصله الذي هو نفي الشرك،

(١) العودة، سلمان بن فهد، **حوار هادئ مع مُحَمَّد الغزالي**، (الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط١، ١٤٠٩هـ)، ص٩– ١٠.

(٢) النحل: ٣٦.

(٣) فاطر: ٢٤.

(٤) البخاري، مُحَمَّد بن إسماعيل، **الجامع المسند الصحيح المختصر**، (بيروت: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ)، ج٣، ص٦٦.

وإثبات وحدانية الله، وفتح الأعين التي أعمته شوائب الشرك والشبهات، والأذن الصم بنداء الشيطان، والقلوب الغُلف باتباعه، بل لأجله أخلف الله لهذه الأمة المصطفين من العلماء، الذين يقومون بالإصلاح والتجديد عندما فَسَدَ الناس، وتلخبطت الأمور، وتسللت الأفكار المعوجة إلى الدين؛ قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾[1]. أي: فَضَّل الله عليكم باصطفاء مَن يرث أنبياءه منكم، ويقومون بأعمالهم من الإصلاح والتجديد.

ومن الأدلة الدالة على ضرورية التجديد ما يأتي:

١- أحاديث التجديد الواردة في كتب السُّنَّة؛ ومنها قوله ﷺ: «**إنَّ الله يَبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة مَن يجدد لها دينها**»[2].

فهذا الحديث بشارة بعدم خُلو قرن من المجددين، وفي نفس الوقت تضمن في ثناياه الإشارة إلى ما يطرأ على حياة الناس في العصور المتعاقبة، مما يستدعي الحاجة إلى التجديد، **فمن ذلك مثلًا:**

أ- جهل الناس بلغة العرب وبأساليبها في البيان- مما أوجد حاجزًا بين الناس وبين الفهم الصحيح لكثير من الأمور الواردة في النصوص.

ب- ظهور كثير من المعاملات والتصرفات التي لم تكن موجودة زمن نزول الوحي.

ج- ظهور التكتلات والتحالفات بين القوى العظمى المختلفة، مما يُحتم على الدول تحديد موقف من ذلك؛ فيحتاج الناس يومئذ إلى الفهم الصحيح الذي يضبط تلك الأمور.

د- ظهور المنظمات والتنظيمات الإقليمية والدولية التي يحكمها قانون أو دستور وضعي؛ فيحتاج الناس إلى معرفة حقيقة العلاقات الدولية، وضوابط ذلك من الناحية الشرعية.

---

(١) فاطر: ٣٢.

(٢) أبو داود، سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود**، (بيروت: المكتبة العصرية، ط١، ٢٠٠٠م)، ج٤، ص١٠٩.

٢- وكذلك حديث اختلاس العلم المروي عن أبي الدرداء ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ فشخص ببصره إلى السماء، ثم قال: «**هذا أَوَان يُختلس العلم من الناس، حتى لا يَقدروا منه على شيء**». قال: فقال زياد بن لبيد الأنصاري: يا رسول الله، وكيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن؟ فوالله لنَقرأنه ولنُقرئنه نساءنا وأبناءنا. فقال: «**ثكلتك أمك يا زياد! إن كنت لأعدُّك من فقهاء أهل المدينة، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى؛ فماذا يغني عنهم؟**»[(١)].

فهذا الحديث إشارة إلى أنه يأتي زمان لا يَبقى للعلم إلا حفظ في الصدور، وخط في السطور، وتعاني الأمة من قلة الفهم، وعدم العمل بالعلم.

ففي هذه الحالة يضطر المسلمون إلى مَن يقوم بعملية رد الناس إلى الصواب الذي هو التجديد.

٣- حديث قبض العلماء الذي يسبب نقصان العلم، واندراس كثير من معالم الدين، واختلاط غير الدين به؛ لقد روي عن ابن عمرو بن العاص أنه سمع الرسول ﷺ يقول: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبْقِ عالمًا اتَّخذ الناس رءوسًا جُهَّالًا؛ فسُئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا**»[(٢)].

ولا يَشك أحد أن نقص العلم مُوقِع في الضلالات والجهالات، ومُؤد إلى الهلاك، مما يستوجب التجديد الذي يحافظ على العِلم في الأمة.

ضوابط التجديد الديني المشروع:

إن الواقع المتغير والحوادث المستجدة والنوازل التي ألمت بالعالم الاسلامي تجعل كل أفراد الأمة مطالبين- شرقًا وغربًا- بتجديد الخطاب الإسلامي، والناشدون بهذا ما بين مفرط يريد

(١) الدارمي، مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد الرحمن، **سنن الدارمي**، (السعودية: دار المغني للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٠م)، ج١، ص٣٣٣.

(٢) البخاري، ج١، ص٣١.

بتجديد الخطاب الديني اقتحام ثوابت الدين والتجرؤ على كلياته، والعبث بالدين، ومفرِّط يريد به الإرهاب والتطرف والتنطع، والإسلام وسط بين الاثنين.

فلذا، هذا التجديد المنشود يتطلب لتحقيق أهدافه إلى ضوابط تضبطه؛ كي يكون وسيلة فاعلة لاستيعاب كل المجالات الإنسانية.

وهذه الضوابط تعتبر أساسية لا يمكن لعملية التجديد أن تتم بدونها، وهي كالآتي:

١- **أن يكون مستندا على الدين:** فالدين أساس للفكر والممارسة معًا، وهو ركيزة المسلم الأولى، ومنهاجه، وهو المعتني بقضايا الإنسان ومصيره في كليته.

والدين المراد هنا: هو كتاب المنزل على عبده، الشامل المحتوي لبيان ما أراد الله من العباد؛ قال الله تعالى فيه: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[(١)].

وهذا يعني أن التجديد أيًّا كان لا يَخرج عما شرعه الله في كتابه وبَيَّنه رسوله الكريم بأقواله وأفعاله، وما عدا ذلك لا يُعد تجديدًا بأي حال[(٢)].

٢- **أن يكون منطلقًا من بلورة المنظور المعرفي** الذي على ضوئه تتحدد المقاصد والغايات من النصوص الشرعية، وكذا الحاجات المعرفية والمنهجية التي ترتبط بالتراث في زمنه الماضي، وعلاقته بحياتنا المعاصرة، وبنظرتنا إلى المستقبل.

فالخطابات الإسلامية مع أنها تهتم بالتراث، إلا أنها قلَّما تهتم بالمنظور المعرفي الذي تتشكل على أساسه مناهج التعامل والنظر.

وهذا من أشدِّ ما يَنقص هذه الخطابات في تعاملها مع التراث، ويؤثر على رؤيتها

(١) النحل ٨٩.

(٢) العلواني، طه جابر، **أبعاد غائبة عن فكر الحركات الإسلامية المعاصرة**، (القاهرة: دار السلام، ط١، ٢٠٠٧)، ص٧٠.

وفاعلية نشاطها في هذا الحقل، والتجديد لا يتم بجانب دون آخر[1].

٣- **أن يتوافق مع الأصول العامة في التشريع**: فالأصل العام في التشريع أن الأحكام معللة بمصالح العباد، لذلك نجد أن كل مفردات النظام التشريعي مترتبة على هذا الأصل العام، وعليه تبنى الأحكام، بل الواقع في نظره مادة لتمحيص التشريع، وتحليل عناصره، وتوضيح غاياته، ووعاء لتطبيق بنوده وأحكامه، وبهذا يكون التشريع حاكمًا على الواقع لا محكومًا به.

وأيُّ تجديد صادر من أيّ كائن لا يُراعى فيه هذا الأصل العام، وخال من مراعاة الواقع العصري لا يُقبل ولا يُعتد به.

٤- **أن يكون مبنيًّا على مفاهيم النصوص ودلالاتها وغاياتها**: إن التشريع الإسلامي هو عبارة عن مجموعة من النصوص ذات المفاهيم والدلالات والغايات (المقاصد)، فإن قراءة النص الشرعي لا تتم إلا بمعرفة هذه العناصر (المفاهيم، الدلالات، الغايات).

ولذلك أفرد علم أصول الفقه لهذه العناصر أبوابًا مستقلة حتى يتمكن الدارس منها؛ كمقدمة لفهم النص الشرعي، فأيُّ تجديد خارج عن هذه العناصر أو عن أحدٍ منها، فهو قبيح.

٥- **أن يتم به إحقاق الحق**: إن الهدف الذي ينشده التشريع الإسلامي في كل الأزمنة والأمكنة المختلفة هو إحقاق الحق، وذلك لا يتم- بعد الاستقراء التام والتأمل الدقيق- إلا بإصلاح النفس، حيث إن الأداة الأولى التي يعتمد عليها التشريع الإسلامي في تحقيق قيمه في الواقع الخارجي: هو عملية التغيير النفسي، حتى يتمكن المرء من النهوض بأعباء التكاليف الشرعية، والقيام بها على أكمل وجه وبدقة وأمانة، وإصلاح المجتمع الإنساني، إذ الغاية الكبرى أن يصبح الوجود البشري برمته خاضعًا لتشريعات الله سبحانه

(١) الميلاد، زكي، **من التراث إلى الاجتهاد- الفكر وقضايا الإصلاح والتجديد**، (المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠٤)، ص٢٥٧- ٢٥٩.

وأحكامه، وأن تكون جميع الأجيال المتعاقبة في ظل العبودية المطلقة لله عز وجل.

ولكن هذا المقصد النبيل لا يتحقق إلا عبر التغيير النفسي، وبعد أن يصلح الإنسان نفسه تبدأ رحلة العمل والجهاد في سبيل تغيير الواقع الاجتماعي(١).

وكل ما ذكر لازم وضروري في كل ما يقال له: التجديد الديني، وإذا اختلى التجديد عن ضابط من هذه الضوابط، فلا قيمة له.

كما على المجدد أن يكون عالمًا بالتراث وآراء مَن سبقه من العلماء، وأيام الأمة، وأن يكون عارفًا بلسان العرب وأساليب الخطاب عندهم، وأن يكون فاهمًا لدلالات النص، ومجرّبًا لواقعها، وأن يتمكن من التمييز بين الفلسفة الإسلامية وغيرها من الفلسفات؛ كالفلسفة اليونانية والإغريقية وغيرهما، وأن يكون عدلًا ومثقفًا، ومتخذًا المنهج الصحيح.

مجالات تجديد الخطاب الإسلامي:

يمكن تحديد مجالات تجديد الخطاب الإسلامي في خمسة إجمالًا، وهي:

المجال الأول: الحفاظ على نصوص الدين الأصلية الصحيحة؛ لأنه إذا كان المراد من التجديد إحياء وإعادة ما اندرس من الدين، فإن الدين يقوم على النصوص الأصلية التي أنزلها الله في كتابه، أو بيَّنها رسوله ﷺ، ولا بقاء لدينٍ دون حفظ نصوصه، وما حُرِّفت الأديان السَّابقة، ولاانحرفت عن الصراط المستقيم إلا بسبب ضياع أصولها، وتقصير أتباع تلك الديانات في حِفظها، والتوثق من نَقلها.

فرغم أن الإسلام بنصوصه الأصلية؛ كتابًا وسُنَّة، محفوظ بحفظ الله، إلا أن ذلك إنما يتم ويتحقق بهمم العلماء الربانيين، وجهودهم وتضحياتهم؛ كما فعل خليفة رسول الله أبو بكر الصديق ﷺ في جمع القرآن، وذلك مرتين؛ مرة في عهده، ثم مرة أخرى في عهد عثمان ﷺ، ولا زالت العناية به على مرِّ الأزمان في أعلى المراتب.

(١) العلواني، **أبعاد غائبة عن فكر وممارسات الحركات الإسلامية المعاصرة**، ص٥١.

ولنفس السبب تَتَابع الصحابة على نقل السُّنَّة النبوية بدقة وأمانة، وتَبعهم في ذلك التابعون وتابعوهم، وبذلوا جهودًا ضخمة في جمع كل ما أُثر عن النبي ﷺ؛ منقول أو فعل أو تقرير.

ثم تحمل العلماءُ البحث عن الإسناد وعِلم الرجال بعد ظهور الوضَّاعين وأهل الأهواء المفترين على رسول الله ﷺ.

المجال الثاني: نقل المعاني الصحيحة للنصوص، وإحياء الفهم السليم لها.

مما لا شك فيه أن الرسول ﷺ فسَّر لأمته معاني القرآن الكريم، وبيَّنها بيانًا تامًّا شافيًا؛ قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، وقد تلقى الصحابة معاني القرآن الكريم من الرسول ﷺ، كما تلقوا ألفاظه، وكذلك الحديث.

وعليه، يُصبح فهم القرآن والسنة بفهم الصحابة، وتلقي معاني النصوص منهم مِن الأمور التي يَتحتم لزومها، خاصة وأنَّ نصوص الوحي كانت بلغتهم، وقد عايشوا أسباب نزولها، والجو المحيط بها، وبادروا إلى العمل بها، وتفاعلت نفوسهم معها؛ لأنها مَسَّت أدق المسائل في حياتهم، وواكبت مختلف ظروفهم وأحوالهم، كل ذلك يجعل فهمهم للنصوص جزءًا لا يتجزأ من الدين، والإعراض عن فهمهم اتباعًا لغير سبيل المؤمنين[2].

وإذا تُركت النصوص لأفهام الناس وعقولهم، فلا يَبعد أن تتعدد أشكال الدين، نظرًا لاختلاف العقول والأفهام، وتأثرها بعوامل الزمان والمكان والبيئة والثقافة والأهواء والنزعات؛ لذلك يلاحظ أنَّ الجهود التي بُذلت لتحريف نصوص الكتاب والسنة قد باءت بالفشل؛ لأنهما محفوظان بحفظ الله تعالى، وإنما نجح ما نجح منها في مجال تحريف معاني النصوص وإخراجها عن دلالاتها بأنواع من التأويل وطرق الفهم[3].

(١) النحل ٤:٤.

(٢) أحمد، سلام، **ما أنا عليه وأصحابي**، (بيروت: دار ابن حزم، ط١، ٢٠١١م)، ص٩٦.

(٣) مروان، القيسي، **معالم الهدى**، (عمان: المكتبة الإسلامية، ط١، ١٩٨٥م)، ص١٠٨.

فإحياء منهج الصحابة ومَن تبعهم بإحسان في تلقي الإسلام وفهمه وتطبيقه، والعناية بتوثيق المنقول عنهم في هذا الباب من أهم مجالات تجديد الدين.

المجال الثالث: الاجتهاد في الأمور المستجدة، وإيجاد الحلول لها:

إذا كان الإسلام هو دين الله الخالد إلى قيام الساعة، وشريعته شاملة لكل زمان ومكان، ونصوصها محدودة، بينما الحوادث والمستجدات ممدودة، فلا بد إذًا من حتمية فتح باب الاجتهاد لإنزال النصوص المحدودة على الحوادث الممدودة، وإيجاد الحلول الإسلامية المناسبة لما يَطرأ على الناس من مشكلات، وإلا وقع الناس في حرج وضيق نتيجة بُعدهم عن أحكام ربهم، وساغ لأعداء الدِّين وأصحاب النوايا الخبيثة والنفوس المريضة اتِّهامَ الإسلام بالجمود والرجعية وعدم الصلاحية.

المجال الرابع: تصحيح الانحرافات:

إذا كان معنى التجديد هو تصحيح الانحراف؛ سواء الداخل في المفاهيم والقيم، أو الداخل في السلوك والعمل، ورد المنحرف إلى أصله كما مَرَّ معنا، فلا بد أن يهتم المجددون ويعتنون بتصحيح الانحرافات كلها؛ العقدية منها، أو الأخلاقية.

المجال الخامس: حماية الدين، والدفاع عنه، والجهاد في سبيله:

وذلك لأن إعادة الدين إلى أصوله، وصيانته من عبث العابثين، وتحريف المحرفين، وحماية العاملين به الحاملين للوائه يَحتاج إلى قوة وبأس.

فكل مَن يبذل جهدًا في ميدانٍ من هذه الميادين الخمسة المتقدمة، فله من التجديد نَصيب، وبقدر ما تتعدد الميادين التي يخوض المجدد غِمارَها بقدر ما تَعظم رُتبته في التجديد، وأكمل المجددين مَن شمل تجديده الميادين كلها[١].

(١) بسطامي، مُحَمَّد سعيد، **مفهوم تجديد الدين**، (مصر: مركز الدراسات والبحوث، ط٣، ٢٠١٢م)، ص٢٣- ٢٥.

المبحث الثاني: اتجاهات المُنادين بتجديد الخطاب الإسلامي، وأبرز مدارس التجديد المنحرف

اتجاهات المنادين بتجديد الخطاب الإسلامي:

ارتبط مفهوم التجديد في التراث الإسلامي بفهم علماء المسلمين الأوائل للنصوص الشرعية، والذي يُشير صراحة إلى هذا المفهوم قوله ﷺ: «**إنَّ الله يَبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة مَن يُجدد لها دينها**» أو «أمر **دينها**»، كما في رواية أخرى"[1].

وهذا الحديث بمفهومه دليل على أن تفاسيرهم وتأويلاتهم للتصدي للتحديات التي تواجه الأمة في عصورهم كافية، فتبين أن التجديد هو الاستجابة لها.

واتجاهات الناس في تجديد الخطاب الإسلامي مختلفة، وذلك نتيجة تأثر ثلاثة عوامل بأفكارهم، وهي:

١- طبيعة تحديات العصر التاريخية، فكل عصر يَنفرد بخصوصياته التي تَفرض نفسها على تفسيرات النص.

٢- طبيعة تكوين الشارح واختصاصه في أحد الحقول المعرفية الإسلامية.

٣- مدى شيوع حالة التجديد.

فهذه العوامل الثلاث هي الصانعة لاختلاف اتجاهات المفكرين قديمًا وحديثًا في مفهوم التجديد.

واتجاهات السابقين كالآتية:

الاتجاه الأول: الاتجاه الإحيائي، ويظهر حينما تكون تحديات العصر من النوع الذي يُهدد الكيان الإسلامي على مستوى الوجود الاجتماعي أو السياسي، وهنا يفسر التجديد

(١) أبو داود، **سنن أبي داود**، ج١١ ص٣٨٥.

بمعنى: "إحياء ما اندرس مِن العمل بالكتاب والسنة، والأمر بمقتضاهما"[١].

الاتجاه الثاني: الاتجاه المتعلق بالفِرق الإسلامية، حيث يَظهر تفسيرهم للتجديد مَظهر قمع البِدعة وبيان السُّنَّة، ويُنسب هذا التأويل للإمام أحمد بن حنبل.

وقيل: ما عُدَّ الإمام الشافعي مجددًا إلا بناء على هذا التفسير[٢].

الاتجاه الأخير: الاتجاه المذهبي حيث يأتي تفسير التجديد تعبيرًا عن الصراع المذهبي الذي انفجر من القرن الثالث الهجري، عندما أخذت تتلبس نصرة المذهب بنصرة الدين، وإحياء المذهب بإحياء الدين، ومِن ثَمَّ ادعى كلُّ أتباع مذهب أن إمامهم هو المجدد، ومذهبه هو التجديد[٣].

أمَّا اتجاهات الناس في التجديد في العصر الحديث:

تبين من خلال الدراسة أن اتخاذ الموقف من مفهوم التجديد لا يقتصر على المفكرين فحسب، بل تعدى الأمر إلى العوام أيضًا، فهناك موقف اتخذه العوام من الناس، وهناك اتجاهات للمفكرين الإسلاميين.

ومن الضروري التعرف- أَوَّلًا- على الموقف العام من هذه القضية، قبل أن نعرض لأبرز اتجاهات التجديد في هذا العصر.

يرى المفكر الإسلامي الدكتور يوسف القرضاوي أن الناس في هذا العصر ينقسمون في شأن التجديد إلى أصناف أربعة:

الأول: أعداء التجديد الذين يريدون بقاء كل قديم على قدمه، المنطلقون من حكمتهم

(١) البوطي، مُحَمَّد سعيد البوطي، محاضرة بعنوان: **الإسلام بين التجديد المطلوب والتبديل المرفوض**، http: / / /www.bouti.com

(٢) مضاهر، حمد كامل، **الدعوة الوهابية وأثرها في الفكر الإسلامي الحديث**، (بيروت: دار السلام، ط٢، ١٩٩٣م)، ص١٥.

(٣) إبراهيم، عبد الرحمن الحاج، **التجديد من النص والخطاب**، http: / / www.islamonline.net/ arabic/ artice.

المأثورة: "ما ترك الأول للآخر شيئًا"، المتخذون لشعار: "ليس في الإمكان أبدع مما كان"، الجامدون القائمون ضد أيّ تجديد في العِلم، وفي الفكر، وفي الأدب، وفي الحياة، فما بالك بالدِّين؟ بل بمجرد أنهم سمعوا كلمة (التجديد) بالنسبة للدِّين اعتبروها هرطقة.

الثاني: فئة (مُقلدي المذاهب) المتعصبين لها، الذين يرفضون أيَّ خروج عليها، ولا يعترفون بحق الاجتهاد لفرد ولا لجماعة في هذا العصر، إلا في إطار ما قررته مذاهبهم وحدها، بل في حدود ما حَرَّره المتأخرون من علماء المذاهب، وأفتوا به، فلا يجوز الخروج عن الرأي المفتى به في المذهب إلى أقوال وآراء أخرى داخل المذهب نفسه.

وفئة "الظاهرية الجُدد" أي: الحَرْفِيُّون الجامدون على ظواهر النصوص من غير إمعان النظر إلى مقاصدها.

وشيمة هؤلاء: هو إقامة معارك حامية من أجل أمور هامشية في الدِّين.

الثالث: غلاة الدعوة إلى التجديد، وهم الذين يُريدون إنساف كل قديم، وإن كان أساسًا لهوية المجتمع، ومبررًا لوجوده، وسرًّا لبقائه، ولسان حالهم يقول بحذف "الأمس الماضي" من الزمن.

وتجديد هؤلاء هو التغريب بعينه، إنَّ قديم الغرب عندهم جديد، ويَدْعُون إلى اقتباسه؛ بخيره وشَرِّه، وحُلوه ومُره.

الرابع: الاتجاه الوسط للتجديد، الذي يرفض جمود الأولين وجحود الآخرين، ويلتمس الحكمة من أيّ وعاء خرجت، ويَقبل التجديد، ويدعو إليه، وينادي إلى أن يكون التجديد في ظل الأصالة الإسلامية، يفَرّق بين ما يجوز اقتباسه وما لا يجوز، ويميز بين ما يلائم وما لا يلائم. وهذا هو موقف دعاة الإسلام الحقيقيين[1].

(١) إبراهيم، عبد الرحمن الحاج، **مفهوم التجديد في الفكر الإسلامي**، (موقع إسلام ويب، ٢٠٠١م)، http: / / articles.islamweb.net/ Media/ index.php?page=article&lang=A&id=4265

وأمَّا اتجاهات التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر فيُمكن رصدها في ثلاثة اتجاهات رئيسية:

الاتجاه الأول: اتجاه التمسك بتفسيرات السلف الصالح لمصطلح التجديد، وعَدُّ الخروج عليه نوعًا من الابتداع والتحريف في الدين.

وأبرز مَن يتجه نحوه صاحب كتاب "مفهوم التجديد بين السنة النبوية وأدعياء التجديد المعاصرين" الدكتور محمود الطحان.

ومن الملاحظ أنه في هذا الاتجاه حَدَّد مفهوم "التجديد" في الاجتهاد في مستجدات العصر، باعتبارها لونًا من التجديد ضمن المناخ التراثي، غير أن مستجدات هذا العصر ليست إلَّا مستحدثات فقهية، فتتقلص تبعًا لذلك "تحديات العصر" إلى درجة ضيقة للغاية لا تَفي بتفسير الواقع الموضوعي(١).

الاتجاه الثاني: اتجاه يُمثل الاجتهاد المفتوح، فمفهوم التجديد لدى شريحة واسعة من الكُتَّاب والمفكرين بمعنى (الاجتهاد) المفتوح اللا محدود مع مراعاة قواعده، الذي يتمرد على الأطر المذهبية، ويتجاوز الحدود الفقهية.

والمتجهون إلى هذا المفهوم انقسموا إلى فئتين:

أ- فئة تعتمد مرجعيَّة العلوم الإسلامية المعروفة، وتجدها كافية لتحقيق الاجتهاد.

ب- فئة تتوسل بإضافة العلوم الغربية عند الاجتهاد.

ونظرًا لارتباط هذه العلوم بالغرب فإن ثمة حساسية لازمة بين كل من الفريقين تجاه الآخر، حيث يرى بعضهم أن الغرب كلٌّ واحد لا يتجزأ، لا يَنفصل فيه الثقافي عن السياسي، في حين يرى الآخرون أن العِلم لا يكون قط ضد الدِّين، وأن (صريح المعقول يُوافق صريح المنقول)، وأن المعرفة سلاح يمكن استخدامه للخير والشر في الوقت نفسه، وأن

(١) المصدر نفسه.

علينا التفرقة بين الغرب السياسي والثقافي والغرب المعرفي العلمي، ما دام العلم ضالة المؤمن.

وهذا الاتجاه يمثله معظم مفكري الإسلام المعاصرين من أمثال مُحَمَّد إقبال، ومالك بن نبي، ويوسف القرضاوي، وعمر عبيد حسنة، ومُحَمَّد عمارة، وأحمد كمال أبو المجد، وفتحي الدريني، وغيرهم.

الاتجاه الثالث: اتجاه يعنى أساسًا بإصلاح مناهج الفكر وإسلامية المعرفة، ويُلاحظ أن تشخيص الأزمة في هذا الاتجاه تولد عنه مفهوم أكثر تحديدًا للاجتهاد، ففي هذا الاتجاه ينظر إلى أزمة المسلمين على أنها ليست أزمة تتعلق فقط بتراثهم أو بواقعهم الخارجي، بل هي أزمة أكبر من ذلك، فهي تتعلق بالحضارة الإسلامية برمتها، وتتلخص في أن فقدان السيطرة على الواقع، وتوقف الإبداع الفكري والتقدم المادي لدى المسلمين يَرجع إلى أسباب تاريخية[1].

وبغض النظر عن تباين هذه الاتجاهات أو تكاملها، فإن هناك سمات سلبية عامة تشيع في غالبية الجهود التجديدية، ومن أبرزها:

أ- عدم التلاقي والحوار بين أتباع أو رموز هذه الاتجاهات.

والعجيب أنه يُرى نخبة من المسلمين يتحاورون مع كل الناس إلا أنفسهم، فقد شهدت الحقبة الماضية انعقاد سلسلة ندوات ولقاءات موضوعها الحوار بين الأديان، في حين كان الأولى بالمفكرين والعلماء المسلمين أن يتحاوروا أولًا مع أنفسهم، خاصة فيما يتعلق بقضية التجديد من أجل تحديد المفاهيم والتكامل في العمل والمشروعات الفكرية.

ب- عدم الاستمرار في المشروعات الفكرية الإسلامية، التي عادة ترتبط بشخص بعينه، إذا فتر حماسه أو رحل لا يكملها أحد بعده، وهكذا نجد أن كثيرًا من المشروعات الفكرية كان من الممكن أن تصب بشكل حقيقي في تجديد الفكر الإسلامي، ثم ما تلبث أن يصيبها الضمور أو التوقف بعد فترة قليلة من بدايتها.

(١) المصدر نفسه.

المبحث الثالث

نماذج لتجديد الخطاب الإسلامي المتوافق مع الإسلام واللامتوافق مع طبيعة الإسلام

نموذج لتجديد الخطاب الإسلامي المتوافق مع الإسلام:

دعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب في نجد:

بِغَضِّ النظر عن اختلاف المؤرخين في كونية دعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب قائمة على السياسة، أم على الدين الخالص، أم عليهما معًا، فإن لها جوانب التجديد التي عنيت بها، وهي أهم ما نستعرضها هنا.

كان الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب عالمِا جليلًا، عاش في القرن الثاني عشر الهجري، وهو تميميٌّ أُنجب في بيت علمي، ونشأ في بيئة علمية، وترعرع فيها، عاش تحت كنف والديه، وأخذ عن والده العلم قبل أن يشرع في الرحلات العلمية، وأخذ العلم في مكة، ثم في مدينة رسول الله، ثم ارتحل إلى البصرة للدراسات اللغوية، ثم الرجوع إلى نجد بعد تضييق أهل العراق عليه لسبب دعوته التجديدية.

وقام الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب بالدعوة التجديدية لما رأى من حال العالم الإسلامي مِن تدهور وانحطاط في الحياة الدينية، والركود السياسي في عصره.

ودعوة الشيخ مُحَمَّد بن مُحَمَّد تهدف إلى تصحيح العقيدة الإسلامية، وتطهيرها مما يَشوبها من الشرك والبدع والخرافات، وإقامة مجتمع إسلامي متكامل، والدعوة إلى عودة الناس إلى الإسلام كما كان في زمن النبوة والقرون المفضلة[١].

وتعتمد دعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب على ثلاثة مصادر: القرآن، والسنة النبوية، ثم آثار السلف الصالح.

---

(١) الخياط، عبد الله، **حركة الإصلاح الديني في القرن الثامن عشر**، مجلة البحوث الإسلامية، العدد الأول، السنة الأولى، سنة ١٣٩٥هـ ص١٣٧- ١٤٠.

وكان لا يؤمن بسلطان العقل المطلق؛ لما فيه من إمكانية الخطإ[١].

فللأسباب المذكورة لم يكن لشيخ الإسلام بد من القيام بدعوة الناس إلى التوحيد بأنواعه الثلاثة على الوجه اللائق: الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات.

واشتدت عنايته بتوحيد الألوهية الذي هو مثير الجدل بينه وبين مخالفيه.

وكذلك المنهج الصحيح في الشفاعة، وحقيقتها، وأنواعها، والمنفية منها.

وكذلك محاربة الشرك بأنواعه المختلفة، والبدع في العبادات، والتقليد الأعمى الذي خَيَّم على عقول المسلمين في ذلك الوقت.

نموذج لتجديد الخطاب الإسلامي اللا متوافق مع الإسلام:

حركة السيد أحمد خان والقرآنيين في شبه القارة الهندية:

وُلد أحمد خان ونشأ في أسرة فقيرة، وفي جو مُشبع بالتصوف، وعاش في شبابه حياة مَرِح، ثم التحق بخدمة الحكومة الإنجليزية في سلك القضاء، وبعد فترة ثاب إلى رشده، وأقبل على إصلاح نفسه وتعليمها.

وكان لإخفاق الثورة الهندية أثر في حياته، وذلك عندما أدرك أنَّ مآل الثورة القائمة في ذلك الوقت الفشل.

والتحق بالإنجليز، وساعد في حمايتهم ونجاة بعض عائلاتهم من القتل[٢].

وقد نزل ببريطانيا ضيفًا، ونال الوسام الملكي ولقب الشرف.

يمثل هذا الرجل الاتجاه الفكري المماليء للغرب والاستعمار الإنجليزي على وجه الخصوص، وكان مُفتتنًا بحضارة الغرب المادية؛ فأنكر المعجزات وخوارق العادة، وعَدَّ النبوّة

(١) مناف، منصور، **الوهابية**، مجلة الخفجي، العدد الرابع، المجلد الخامس، (يوليو ١٩٧٥م)، ص١٠.

(٢) بسطامي، **مفهوم تجديد الدين**، ص١٢٠- ١٢٣.

غاية تكتسب عن طريق الرياضة النفسية[١].

وكان سيد أحمد خان يُنكر كل ما تنكره الثقافات الغربية، ولو كان دينًا، ويُثبت ما تثبته ولو كان مخالفًا للدين وإجماع المسلمين[٢].

آراء سيد خان:

اعتمد سيد خان على معطيات العقل المحض، وإنباء الغربيين فيما سماه تجديدًا عصريًّا، وعد القرآن وحده أساسًا لفهم الإسلام[٣]، وأنه نزل على الرسول بالمعنى فحسب وصياغة ألفاظه من تصرفاته، كما كان كثير التأويل للغيبيات، والتشكيك في السنن النبوية، فلأجله جعل الأحكام المستنبطة من السنة أحكامًا لا تجب على المسلمين[٤].

ولا يَقبل إلا أحاديث خاصة بالأمور الدينية وشعائر الدين؛ كالعقيدة والعبادة، وأما الأحاديث الخاصة بالأمور الدنيوية؛ كقضايا السياسة والاقتصاد والاجتماع فغير مُلزمة في نظره، محتجًّا بأنها من أمور الدنيا المتغيرة.

ويرى السيد أن باب الاجتهاد مفتوح في كل المسائل من غير استثناء، ولا يرى أن الإجماع من مصادر التشريع، كما يرى عدم الالتزام باجتهاد علماء السلف، وتقريب أمور الدين من مفاهيم الحضارة الغربية، وأن الربا المحرم هو الأضعاف، وأما القليل فحلال، ورفض إقامة الحدود التي أوجبها الشارع بحجة أنها تنافي التمدن والحضارة[٥].

(١) البهي، محمد، **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي**، (مصر: مكتبة وهبة، ط٩، ١٩٨١م)، ص٣٣-٣٧.

(٢) الندوي، أبو الحسن، **الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية**، (القاهرة: مطبعة التقدم، ط٣، ١٩٧٧م)، ص١٢٠.

(٣) المصدر نفسه، ص١٢٣ وما بعدها.

(٤) السيد، أحمد خان، **مقالات سرسيد**، (لاهور: مطبعة لاهور، ط١، ١٤٠٩هـ)، ج ١، ١٢٨.

(٥) بسطامي، **مفهوم تجديد الدين**، ص١٢٦.

خاتمة:

١. التجديد مصطلح شرعي، وَرَدَ به الحديث الصحيح، ولا يعني إلا إعادة الدين بعد أن تراكمت عليه البدع والمحدثات، وانطمس جوهره بفعل التأويلات والتحريفات، إلى ما كان عليه يوم نزوله، ولا يعني أبدًا تبديل أحكام الدِّين والإتيان بدين جديد.

٢. إن التجديد يقوم على أساس إسلامي ثابت، ولا يعني الإلغاء والإهدار لجهود المجتهدين السابقين.

٣. التجديد ضرورة من ضرورات هذا الدين، ولازم من لوازم خلوده إلى يوم القيامة.

٤. إنه لا يمكن الاستغناء عن الخطاب الديني إطلاقًا في كل زمان ومكان، وذلك لحاجة الناس الماسة إليه والملحة؛ الفطرية والضرورية، الدنيوية والأخروية.

٥. إن في الشريعة من الركائز والمقومات، ومن الخصائص والصفات ما يتيح للمجدد القيام بمهمة التجديد على أتم وجه وأحسن صورة.

٦. من أبرز ثوابت الخطاب الإسلامي تحقيقه لجلب المصالح ودرء المفاسد، وتأكيده أن مصلحة الإنسان الحقيقية في اتباع ما جاء به الشرع الحنيف.

المصادر والمراجع:

- إبراهيم، عبد الرحمن الحاج، (٢٠٠١م)، مفهوم التجديد في الفكر الإسلامي، موقع إسلام ويب:

http://articles.islamweb.net/Media/index.php?page=article&lang=A&id=4265.

- ابن عصفور، علي بن مؤمن بن مُحَمَّد الحضرمي، (١٩٩٦م)، **الممتع الكبير في التصريف**، (الطبعة الأولى)، بيروت: مكتبة لبنان.

- ابن منظور، مُحَمَّد بن مكرم بن علي، (١٤١٤هـ)، لسان العرب، (الطبعة الثالثة)، بيروت: دار صادر.

- أبو داود، سليمان بن الأشعث، (٢٠٠٠م)، **سنن أبي داود**، (الطبعة الأولى)، بيروت: المكتبة العصرية.

- أحمد، سلام، (٢٠١١م)، **ما أنا عليه وأصحابي**، (الطبعة الأولى)، بيروت: دار ابن حزم.

- إسماعيل، مُحَمَّد، مقالات سيد أحمد خان، (الطبعة الأولى)، لاهور: مطبعة لاهور.

- البخاري، مُحَمَّد بن إسماعيل، (١٤٢٢هـ)، **الجامع المسند الصحيح المختصر**، (الطبعة الأولى)، مصر: دار طوق النجاة.

- بسطامي، مُحَمَّد سعيد، (٢٠١٢م)، **مفهوم تجديد الدين**، (الطبعة الثالثة)، مصر: مركز الدراسات والبحوث.

- البشير، عصام بن أحمد، **ثقافة التجديد وأدب الحوار**، (الشبكة الفقهية، ٢٣/ ١٢/ ٢٠١٢م)، http: //www.feqhweb.com/vb/t8371.html

- البهي، مُحَمَّد، (١٩٨١م)، **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي**، (الطبعة التاسعة)، مصر: مكتبة وهبة.

- البوطي، مُحَمَّد سعيد رمضان، محاضرة بعنوان: **الإسلام بين التجديد المطلوب والتبديل المرفوض** http: //www.bouti.com/

- الترابي، حسن بن عبد الله، (١٩٩٣م)، **تجديد الفكر الإسلامي**، (الطبعة الأولى)، المغرب: دار القرافي للنشر والتوزيع.

- جعيط، هشام، مجلة الاجتهاد، العددان ١١-١٢، ضمن مقال بعنوان: **الإصلاح والتجديد في الدين**.

- الحاكم، مُحَمَّد بن عبد الله، (١٩٩٠م)، **المستدرك على الصحيحين**، (الطبعة الأولى)، بيروت، دار الكتب العلمية.

- الحازمي، أحمد بن عمر بن مساعد، (**٢٠١٢م**)، **شرح متن البناء**، www.hazme.net.

- حنفي، حسن، (١٩٩٢م)، **التراث والتجديد**، (الطبعة الرابعة)، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

- الخياط، عبد الله، (١٣٩٥هـ)، **حركة الإصلاح الديني في القرن الثامن عشر**، (العدد الأول)، مجلة البحوث الإسلامية.

- ضاهر، مُحَمَّد كامل، (١٩٩٣م)، **الدعوة الوهابية وأثرها في الفكر الإسلامي**، (الطبعة الثانية)، بيروت: دار السلام.

- العلواني، طه جابر، (٢٠٠٧م)، **أبعاد غائبة عن فكر الحركات الإسلامية المعاصرة**، (الطبعة الأولى)، القاهرة: دار السلام.

- عمارة، مُحَمَّد، (٢٠١٠م)، **الإسلام وقضايا العصر**، (الطبعة الأولى)، بيروت: دار الوحدة.

- العماري، علي، (١٩٩٤م)، **أدعياء التجديد مبددون لا مجددون**، (الطبعة الأولى)، مصر: مكتبة وهبة.

- مروان، القيسي، (١٩٨٥م)، **معالم الهدى**، (الطبعة الأولى)، عمان: المكتبة الإسلامية.

- مناف، منصور، (١٩٧٥م)، **الوهابية أو الكفاح ضد الوثنية**، (العدد الرابع)، مجلة الخفجي، السعودية.

- الميلاد، زكي، (٢٠٠٤م)، **من التراث إلى الاجتهاد: الفكر وقضايا الإصلاح والتجديد**، (الطبعة الأولى)، المغرب: المركز الثقافي العربي.

- الندوي، أبو الحسن، (١٩٧٧م)، **الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية**، (الطبعة الثالثة)، القاهرة: مطبعة التقدم.

- العودة، سلمان بن فهد، (١٤٠٩هـ)، **حوار هادئ مع مُحَمَّد الغزالي**، (الطبعة الأولى)، الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.